- دور معاو

- **أهم ولاة معاوية:**

اعـتمد معاويـة علـى مجموعـة من الولاة الأكفاء في تذليل الصعاب 9 of 288
والقضـاء علـى الثائريـن ضده، وتثبيت حكمه في الولايات، وتروي المصادر

الكثـير عن هؤلاء الولاة أكثر مما ترويه عن أخبار معاوية نفسه. وأبرز هؤلاء الولاة عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبه، وزياد بن أبيه.

لـم تكـن أحاسيس معاوية أيضاً ودية تجاه عمرو بن العاص ولم تكن أحاسـيس ابن العاص ودية تجاه معاوية أيضاً، وقد أدرك معاوية أن عمرو بن العـاص من دهاة العرب المشاهير وهو بأمس الحاجة لخدماته التي يستطيع أن يجنـي ثمارهـا، وفي الوقت نفسه شعر عمرو بن العاص أنه يستطيع أن يجني ثمار دهائه لقاء خدماته لمعاوية، كل ذلك جعل الاثنين يتبادلان المنفعة ويخفي كل منها ما في نفسه تجاه صاحبه.

وروى ابن الطفطفي" ومن دهاء معاوية استمالته لعمرو بن العاص أحد الدهـاة المشـاهير. وكـان عمرو عندما نشبت الفتنة بين علي ومعاوية معتزلاً للفريقين فرأى معاوية أن يستميله ويتقوى به، ووعده ولاية مصر، ومصر كانت الأمـل الـذي تهفو له نفس ابن العاص وبهذا انضم عمرو إلى معاوية وساعده مساعدة كبيرة مع أنه لم تكن بينهما مودة قلبية، وكانا يتباغضان سراً" ولما استقر الأمـر لمعاوية ولى عمرو بن العاص مصر وظل عمرو واليا عليها حتى مات سـنة (٤٣هـ/٦٦٣م) وولي معاوية بعده ابنه عبد الله فبقي واليا عليها حوالي سنتين.

وكـان المغـيرة بـن شـعبة وزياد بن أبيه ثقفيين من الطائف. المدينة المعـروفة بجمـال موقعهـا وطيب هوائها وقد اشتهر الثقفيون بالفطنة والذكاء والدهـاء وقـد برز منهم في العصر الأموي عدد كبير من أهل المواهب ومنهم زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف والمختار بن أبي عبيد الثقفي ومحمد بن القاسم وكثير من الرجال البارزين.

وكان المغيرة بن شعبة قد أسلم سنة (٨هـ-٦٢٩م) وفي سنة ٩هـ كلفه النبي (صلى الله عليه وسلم) بهدم صنم اللات في الطائف، ولكي ينال شرف لمس جسد النبي الطاهر فقد طرح خاتمه في قبر النبي قبل ان يهال عليه التراب. وأخذ فيهما بعد يبني على ذلك أمانيه.

ولما كان المغيرة رجلاً فضولياً فقد أخذ يدس نفسه في أمور الخلافة الكبيرة ليظهر للناس أنه من الأرستقراطية. ومثل هذه الأمور الكبرى مجلس الشورى ومحكمة المحكمين في دومة الجندل.

وقد استفاد من معرفته بالفارسية فأخذ يدعي أنه يستطيع أن يناقش في أمور الإسلام مع الفرس، ولذا فقد اختير مفاوضاً ورسولاً.

عين المغيرة والياً على البصرة بعد وفاة عتبه بن غزوان وقد نظم الدواوين وفتح ميسان والأحواز وشهد معركة نهاوند. وفي سنة ٢١هـ-٦٤١م عين والياً على الكوفة وفي عهده فتحت ميديا وأذربيجان ولمع نجمه في عهد الخليفة علي.

وفي الصراع الذي دار بين الخليفة علي ومعاوية اختلف المغيرة مع الخليفة علي وولى وجهه صوب معاوية وعرف معاوية كيف يستفيد منه فقد عينه والياً على الكوفة بعد أن أخذ البيعة له من العراقيين.

قدم المغيرة إلى الكوفة وهو كبير السن وقد صقلته الحياة، ولذا فقد حرص ألا يصطدم بمن فوقه ولا بمن تحته ولم يكن متحمسا لمعاوية ولا متحمسا ضد الأحزاب المتصارعة في الكوفة بل كان همه الاحتفاظ بولاية الكوفة وقد وضع سياسته بقوله" لا أحب أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم فيسعدوا بذلك وأشقا، ويعز في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة

ولكن قابل محسنهم وعفى عن مسيئهم وحامد حليمهم وواعظ سفيههم حتى يفرق بينه وبينهم الموت".

نجح المغيرة في التخلص من الخوارج أعداء الدولة الألداء وذلك بتعاون أهـل الكوفـة معه، لأنه نجح في كسب رضاهم عنه، وذلك لأنه لم يشتد معهم رغم ميوله العلوية الصريحة. ورغم معرفته بأنهم سوف يتحركون عسكريا ضد معاويـة لأنـه كان على يقين أنه سوف لن يشهد تحركهم حياً، وقد أراد العافية لنفسه وأراد أن يلقي ذلك على كاهل من سيخلفه وان تساهله وليونته مع الكوفيين جعلهم يقولون أنهم ما وليهم والٍ بعد مثله وقد ظل المغيره والياً على الكوفة حتى مات سنة (٥١هـ/٦٧١م) فضم معاوية الكوفة إلى زياد بن أبيه والي البصرة .

أمـا زياد فقد كان والياً لعلي بن أبي طالب على فارس وقد فشل معاوية في استمالته إلى جانبه في صراعه ضد الخليفة علي وعندما اغتيل الخليفة علي أعلـن زياد استقلاله في فارس وحاول معاوية أن يوسط المغيرة لضم زياد إلى جانـبه وقد نجح المغيرة بعد جهد بإقناع زياد بالشخوص إلى معاوية سنة (٤٢ هـ-٦٦٢م) بعد أن تسلم عهد الأمان من معاوية، وعندما وصل زياد إلى معاوية سأله معاوية عن أحوال فارس فأخبره بما أنفقه وبما حمل إلى الخليفة علي وبما بقي عنده فصدقة معاوية وقبض منه ما بقي عنده ولم يكن لزياد أي معروف ولذا فقد كان يعرف بزياد بن أبيه أو زياد بن سمية ويروى أن أبا سفيان قد أعترف فـي أواخر أيامه أمام علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وعمرو بن العاص انه أجتمع بأم زياد ولكن نسب زياد إلى أبي سفيان لم يتم إلا في عهد معاوية سنة (٤٤هـ-٦٦٤م) عـندما أعترف معاوية بأخوته لينتفع به وبمواهبه ومنذ ذلك الحين أصبح يسمى زياد بن أبي سفيان. وكانت الحالة في البصرة سيئة جداً فقد أصـبحت الأمـور بـيد القبائل لا بيد الحكومة، وغلب على البصرة سفهاؤها، وضـعف سلطان الدولة فيها، وانتشر السلب والنهب والقتل في رابعة النهار وقد

ضـــجر معاويـــة مـــن لين والي البصرة عبد الله بن عامر الأموي فعزله وعين الحارث بن عبد الله الأزدي مكانه وكان يريد منه أن يمهد الطريق إلى زياد.

وفـــي ســـنة (٤٥هـــ-٦٦٥م) ولـــى معاوية زياداً البصرة وخراسان وسجستان والهند والبحرين وعُمان، فقدم إلى البصرة في أواخر السنة المذكورة والأمـــور فـــيها مضطربة جداً والفحش فيها منتشر والسرقات والجرائم مستمرة فخطـــبهم خطبته المعروفة بالبتراء وإنما قيل لها ذلك لأنه لم يحمد الله فيها ولما فـــيها مـــن روائـــع الحكم وبديع الحكم وبيان سياسته في حكم البلاد وعدد فيها مســـاوئ أهـــل البصـــرة وتوعدهـــم بـــالويل والثبور وقال لهم:" ليأخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفســـه بالســـقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: أنج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم.".

ونجح زياد في القضاء على الفوضى والاضطرابات وإقرار الأمن لا في البصـــرة وحدها بل في الولايات الفارسية، ويذكر الطبري أن زياد أول من شد أمـــر الســـلطان وأكد الملك لمعاوية إلزام الناس الطاعة وتقدم في العقوبة وجرد الســـيف وأخـــذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخاف الناس في سلطانه خوفاً شديداً حـــتى أمن الناس بعضهم بعضاً حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعـــرض لـــــه أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه وتبيت المرأة لا تغلق عليها بابها، وســـاس الـــناس سياسة لم ير مثلها وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله، وقد حقق زياد هذا الأمن والاستقرار بطريقة تشبه إلى حد ما الحكم العرفي لأن "أخذ الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي والصحيح في جســـمه بالسقيم" أمر ليس جارياً في القانون الشرعي الذي يقصر المسؤولية على المجرم وإنما ذلك شيء يلجأ إليه الإداريون لتخفيف الآم الجرائم، وإرهاب الناس حتى يأمن الناس شرهم وفائدة ذلك في الغالب وقتيه.

وبعـد موت المغيرة أضيفت الكوفة إلى زياد سنة (٥١هـ-٦٧١م) وبذا يكـون أول من أجمعت له البصرة والكوفة. كان زياد يقيم ستة أشهر في الكوفة وسـتة أشـهر في البصرة. وكانت مهمته في الكوفة أشد منها في البصرة لقوة المعارضة في الكوفة وكان حجر بن عدي على رأس المعارضة في الكوفة. وقد نصـب المعارضة في الكوفة خليفة زياد (عمرو بن الحريث) حينما كان يخطب في المسجد، فأسرع زياد بالقدوم إلى الكوفة وهدد أهلها وطلب منهم الابتعاد عن حجـر بـن عـدي ففعلوا، ثم ألقى زياد القبض على حجر بن عدي وأرسله مع مجموعة من أنصاره إلى معاوية فقتل حجرا وبعض أنصاره.

وكـان لسياسة الشد التي أتبعها زياد ضد المعارضة في العراق أثر في تكتلهم وازدياد النقمة على بني أمية من جهة وعلى زياد من جهة أخرى.

وقـام زياد بأعمال عمرانية كثيرة في العراق. ويذكر الطبري أن زياداً أصلح مسجد الكوفة، وأمر بإلقاء الحصى فيه ويعلل البلاذري أن زياداً فعل ذلك لأن الناس كانوا يصلون فإذا رفعوا أيديهم تربت ثم نفضوها فخشى زياد أن يظن الـناس أن نفض الأيادي سنة في الصلاة فأمر بجمع الحصى وإلقائه في صحن المسـجد. ويعتـبر زيـاد أول مـن عمل المقصورة وأول من أنشأ المنائر في العـراق وفـي البصـرة بالذات ومن أعمال زياد الإدارية أنه قسم الشرطة في الكوفة إلى أربعة أقسام في كل قسم منها تتمثل القبائل المختلفة من غير أن يكون على رأسهم رئيس القبيلة بل رئيس تعينه وقد قسم جند البصرة إلى خمسة أقسام ولكـن الصـبغة القبلية كانت أكثر ظهروا في هذا التقسيم من تقسيم الكوفة وبعد الإجـراء المذكور من العوامل التي ساعدت على إضعاف سلطة رؤساء القبائل. واهتم زياد بنظافة الشوارع وتسويتها بعد المطر.

فقـــد أمـــر أصحاب الدور بأخذ قسم من الطين من فناء دورهم لتسوية الشـــوارع به، وكان يأمر الناس بتنظيف الشوارع وقد فكر بتطوير هذا المسلك فاشـــترى عبـــيدا للقـــيام بهـــذه المهمة. وبذا يكون أول من أوجد التنظيف العام للشوارع.

وأمر زياد بنقل خمسين ألف من البصرة والكوفة بعائلاتهم إلى خراسان وأســـكنهم فيما وراء النهر، ولعل ذلك يعود إلى رغبة زياد في التخفيف من حدة الـــتوتر السياسي في العراق، أي رغبته في إبعاد القبائل التي يخاف منها أو أنه أراد أن يشـــجع حـــركة التعريـــب في خراسان، ولغرض القضاء على حركات العصيان المستمرة في خراسان ولجعل خراسان مركزاً لغزو بلاد ما وراء النهر ولكـــي تصـــبح خراسان قاعدة ثابتة للعرب، وربما قصد من نقلهم أيضاً تخفيف الضـــيق الاقتصادي في البصرة والكوفة حيث جذبت البصرة الكثير من القبائل العربـــية مـــن البحريـــن والحجاز وجميع أنحاء الدولة العربية الإسلامية وكان بعضهم يتمتع بالعطاء وبعضهم محروم منه.

وكذلـــك لتخفـــيف الـــتدهور الأخلاقي الذي كانت تعيشه البصرة لكثرة اللصـــوص والقـــتلة ويظهـــر أنه أبعد بعض هؤلاء المشاغبين مع الأعداد التي هجرها.

وكـــان من نتائج نقل هذا العدد الضخم من العرب إلى خراسان إيجابيات كثيرة وقد هجر زياد عدداً كبيراً من الأزد إلى مصر، وقد أطلق المصريون على الأزد المهجريـــن إلـــى مصر اسم العراقيين لمجيئهم من العراق ويرى الدكتور العلي أن الذين نقلهم زياد من الأزد إلى مصر هم من غير المرغوب فيهم، وقام زياد بنقل العناصر غير العربية " الفرس" من الكوفة.

الحـــركات الفكريه و التوريه. وكانت الفترة التي اعقبت وفاة معاوية من أخصب الفترات في ثوراتها الفكرية والعسكرية.

ثورة الحسين بن علي (رض):

كانـــت وفاة معاوية بن أبي سفيان في الرابع عشر من شهر رجب سنة ٦٠هـــــ، وجاء ابنه يزيد من بعده ليتولى الخلافة بموجب المبدأ الوراثي، فكانت أول ممارسة ليزيد في الحكم أنه أرسل رسالة قصيرة ومستعجلة إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يحثه فيها على أخذ البيعة له من الحسين بن علـــي (رضي الله عنهما) وعبد الله بن الزبير اللذان كانا على رأس المعارضين للبـــيعة له أيـــام والـــده عندما كان يسعى في تعيينه وليا للعهد، فاستدعى الوليد الحسين بن علي وطلب إليه مبايعة يزيد، فأجابه الحسين بأنه مثله لا يعطى بيعته ســـرا فـــإذا ما دعي الناس للبيعة ودعي معهم كان الأمر واحداً ثم انصرف إلى داره وغـــادر المدينة إلى مكة، وكان عبد الله بن الزبير قد توجه هو الآخر إلى مكة وتحصن في البيت الحرام واستجار به.

وبعد وصول الحسين بن علي مكة بدأت الوفود والكتب تتواصل إليه من أهل الكوفة يعربون فيها عن مبايعتهم له ويدعونه للقدوم عليهم، فاستجاب الحسين لـــنداءاتهم المـــتكررة التي تؤكد سخط أهل الكوفة على يزيد وكرههم للأمويين. ورأى أن يوفد ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة ليقف على حقيقة موقـــف أهلهـــا وصدق إخلاصهم للحسين، فوصل مسلم الكوفة في الخامس من شوال سنة ٦٠هـــ ونزل مسلم في دار المختار بن أبي مسعود الثقفي الذي أصبح مركزاً لنشاط مسلم في الكوفة حتى قدوم عبيد الله بن زياد والياً عليها.

ويـــرى بعـــض الباحثين أن اختيار مسلم بن عقيل لبيت المختار يعكس اطمئـــنانه إلـــيه وتـــأكده مـــن عدائه للأمويين وكان المختار متزوجاً من أخت النعمان بن بشير والي الكوفة، مما أتاح لمسلم وأنصاره العمل بحرية الأمر الذي أغضب أنصار بني أمية الذين اتهموا النعمان بالتواطؤ والتساهل مع أعداء يزيد، ودعـــوه إلى قتالهم، فأجابهم بقوله: "لا أقاتل إلا من قاتلني، ولا أثب إلا من وثب علي، ولا أخذ بالقرفة، والظنة، فمن أبدى صفحته ونكث بيعته ضربته بسيفي ما ثبت قائمة بيدي، ولو لم أكن إلا وحدي".

وقـــد كتـــب أنصـــار بني أمية إلى يزيد يخبرونه بقدوم مسلم بن عقيل

ومـــبايعة الناس له ويقولون له ان كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً يـــنفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فإن النعمان رجل ضعيف ؛ فعزل يزيد النعمان وولى على الكوفة عبيد الله بن زياد أمير البصرة مـــ ـي المصرين وأمره بطلب مسلم بن عقيل وقتله.

وتذكـــر الـــروايات التاريخية أن ما يزيد على ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة بايعوا الحسين وقد كتب مسلم بذلك إلى ابن عمه في مكة ودعاه إلى القدوم إلى الكوفة.

إلا أن وصول عبيد الله بن زياد غير الموقف تماماً، نظراً لما عرف عن الأخير من شدة البأس والبطش، فتفرق اتباع مسلم عنه وتخلوا عن نصرته فظفر به عبيد الله وأمر بقتله وإلقاء جثته من قصر الإمارة.

أمـــا الحســـين فإنـــه أعد العدة للمسير إلى الكوفة، فجاءه عمرو بن عبد الرحمـــن بن الحارث بن هشام فقال له بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق عليك أن تأتـــي بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال وإنما الناس عبيد الدرهم والديـــنار فـــلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن

يقاتلك معه فجزاه الحسين خيراً، وجاءه ابن عباس فقال له لقد أرجف الناس أنك تريد العراق فخبرني ما أنت صانع؟ فقال: قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين فقـــال له ابن عباس: أعيذك بالله من ذلك خبرني رحمك الله أتيسر إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم وإن كانوا فمـــا دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تحيى بلادهم فإنما دعوك إلى الحـــرب والأمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال الحسين فإني أستخير الله وأنظر ما يكون.

ثـــم جـــاءه ابن عباس ثاني يوم فقال يا ابن عم أتصبر ولا أصبر أني أتخـــوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال إن أهل العراق قوم غدر فلا تقـــربهم أقـــم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز فإن كان أهل العراق يريدوك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم، ثم اقدم عليهم فإن أبيت إلا أن تخرج فســـر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شـــيعة وأنـــت عن الناس في عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك فإني أرجو أن يأتيك

وقـــال: يا ابن أصر على الرحيل ك وأجمعت على

أمـــية والقضاء بيد الله إلا أن ذلك لم يؤثر على عزيمة الحسين وتمسكه بالمبادئ والقيم التي آمن بها، فخرج بصحبة عدد لا يتجاوز الثمانين من أهل بيته وبعض المخلصين من أتباعه.

37 of 288

وعلم الحسين وهو في طريقه إلى العراق، بمقتل مسلم بن عقيل وما كان من غدر أهل الكوفة وخذلانهم له، وكان كلما تقدم أقبل عليه من ينصحه بالعودة ويـــبدو أن الحسين رغب في العودة إلى الحجاز إلا أن أخوة مسلم رفضوا ذلك وأصـــروا علـــى الأخذ بثأر أخيهم فقرر المضي إلى الكوفة، فتصدت له طليعة جـــيش عبـــيد الله بـــن زياد بقيادة الحر بن يزيد التميمي ومنعته من المسير إلى الكوفـــة كما قطعت عليه طريق العودة إلى الحجاز فعدل إلى كربلاء بالقرب من الشـــاطئ الغربـــي للفرات وعسكر هناك في غرة المحرم من سنة ٦١هـــ حيث باغـــته عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف من أهل الكوفة فحالوا بينه وبين الماء.

وقـــد حاول الحسين تجنب القتال وإراقة دماء المسلمين وطلب إلى عمر ابـــن سعد أن يدعه يختار واحدة من ثلاث إما تدعوني أنصرف من حيث أتيت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد وإما أن تدعوني فالحق بثغور. فكتب ابن سعد إلـــى عبـــيد الله بذلـــك فأصر الأخير أن يعلن الحسين مبايعته ليزيد ويسلم نفسه وأرســـل إلى عمر بن سعد بأن يستعمل القوة إذا رفض الحسين ذلك وإلا فليسلم القيادة إلى شمر بن ذي الجوشن القيسي الذي حمل هذه الرسالة. وفي العاشر من محرم بدأ القتال وكان الحر بن يزيد قد انضم إلى جانب الحسين وقاتل معه وأخذ أصـــحاب الحســـين يتساقطون الواحد تلو الآخر ثم جاء دور الحسين نفسه فقاتل قتال الأبطال حتى أثخنته الجراح وسقط على الأرض فتكاثر عليه أعداؤه وقتلوه ثم أخذوا رأسه ورؤوس أصحابه وحملها شمر بن ذي الجوشن إلى عبيد الله بن زيـــاد الذي بعث بها إلى يزيد في دمشق وأمر الأخير بتسليم رأس الحسين إلى أخـــته زينب فدفن مع الجسد في كربلاء كما أمر بإعادة النساء ومعهن علي بن الحسين وكان فتى صغيراً إلى المدينة.

ولاية العهد:

كانت ولاية العهد من الأمور التي أفرزت الكثير والصعوبات في التاريخ الأموي فعندما مات معاوية كانت مسألة من يخلفه منذرة بالمتاعب والصعوبات وقد حاول معاوية جاهداً أن يحل المسألة قبل موته وذلك

بأخذ البيعة لابنه يزيد من أشراف العرب وهو على قيد الحياة، وقد واجهت معاوية صعوبات في هذه المحاولة الرامية لحصر الخلافة في عائلته من هذه الصعوبات التقاليد الإسلامية التي تؤكد بأن الحكم لله يحمل أعباءه أفضل المسلمين وهو ليس ملكاً بشرياً يتوارثه الناس ولا تبيح التقاليد العربية انتقال الرئاسة من الأب إلى الابن رغم أنها تبيح ذلك داخل القبيلة أو العشيرة، يضاف إلى ذلك أن الغالبية العظمى من المتدينين لم تكن تميل إلى يزيد لعدم توفر صفات الخلافة فيه ولذا فقد بذل معاوية جهودا لأخذ البيعة من المتدينين واستعمل القوة تارة والمال والدهاء السياسي تارة أخرى.

يذكر الطبري أن المغيرة بن شعبة هو الذي أوجد فكرة أخذ البيعة ليزيد بولاية العهد إذ دخل على يزيد وقال له" ذهب الصحابة وكبار قريش ولم يبق إلا أبناء الصحابة وأنت أفضلهم رأياً وأعلاهم كعباً وأكثرهم إطلاعاً على السياسة وتدبير الأمور ولا أدري ما يمنع الخليفة معاوية من أن يوليك العهد فأدخل الفكرة في نفس يزيد وعرض يزيد الرأي على أبيه فاستحسنه فأحضر معاوية المغيرة وسأله عما قال ليزيد.

ودار الحوار بين الاثنين تعهد فيه المغيرة لمعاوية أن يأخذ البيعة من أهل الكوفة فقبل معاوية الأمر وطلب من المغيرة العودة إلى الكوفة والتحدث في الأمر مع من يثق بهم.

رجع المغيرة إلى الكوفة وتكلم مع من يثق بهم ومع من يعرف أنه من أنصار الأمويين فأجابوه إلى البيعة، فأوفد قسماً منهم برئاسة ابنه موسى قدم الوفد إلى معاوية وحسن له البيعة ليزيد فطلب معاوية منهم التريث والتمسك بالرأي وتقوى عزم معاوية في البيعة لابنه والراجح أن فكرة البيعة ليزيد كانت قد ساورت معاوية قبل أن يعرفها المغيرة ولكن معاوية كان ينتظر الفرصة الملائمة

لإبـــرازها فانتهز معاوية مبادرة المغيرة التي عبرت عن رغبته ليتحسس صدى ذلك في نفوس الناس.

أرسل معاوية إلى زياد يستشيره في البيعة ليزيد، فكتب زياد إلى معاوية يشـــير عليه بالتؤدة وأن لا يعجل فقبل منه ولما مات زياد عزم معاوية على أخذ البيعة لابنه يزيد فكتب معاوية إلى والي المدينة مروان بن الحكم مايلي: "كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، ولقد رأيت أن أتخير لهم مـــن يقـــوم بعدي وكرهت أن أقطع دون مشورة من عندك فأعرض ذلك عليهم وأعلمنـــي بالذي يردون عليك" وأخبرهم فقال الناس أصاب ووفق وقد أحببنا أن يختار لنا فلا يألو وكتب مروان بذلك إلى معاوية.

أعـــاد معاوية الجواب على مروان بذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال أن أمير المؤمنين قد أختار فيكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد فبايع الناس ليزيد بن معاويـــة غير الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بن عباس وقد أعلن هؤلاء رفضهم لتعيين يزيد وهاجموا هذه الفكرة.

يذكـــر الطبري بأن يزيد كتب بعد توليه الخلافة سنة ٦٠هـ /٦٧٩م إلى الوليد بن عقبة والي المدينة " أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام".

وعـــندما اســـتلم الوليد الخطاب استشار مروان بن الحكم فأشار مروان بالمبادرة إلى دعوة الممتنعين خصوصا الحسين بن علي وعبد الله بين الزبير إلى البـــيعة ليزيد، فإن بايعوا قبل ذلك منهم وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، ولما كان الوليد يحب العافية فقد أرسل إلى الحسين بن علي وابن الزبـــير وتكلـــم معهـــم فاستنتجا أن معاوية قد مات، وتمكنا من مغادرة المدينة والذهـــاب إلـــى مكـــة في أواخر رجب ٦٠هـــ/٦٨٠م أما ابن عمر فلم يكن في

المدينة ساعة ورود نعي معاويه ولما عاد إليها بايع بعد أن جاءت البيعة من البلدان وفعل مثله ابن عباس. وكان الرأي أن تجتمع كلمة الأمة اجتماعاً حقيقياً.

ذهب الحسين بن علي إلى الكوفة حيث قاد ثورة ضد يزيد، ابن الزبير في مكة ثم استغل مقتل الحسين للتشنيع على أهل الكوفة وعلى حكم بني أمية وللتعريض بيزيد.

ويرى شلبي أن تعيين معاوية خلفاً له عمل حكيم وأن كون الخليفة الجديد من بني أميه أمر مسلم به، لأن ولاة الإقليم كانوا من بني أمية أو من أتباعهم وانتقال الحكم إلى الحسين مثلا سيكون معناه عزل هؤلاء الولاة ثم رفضهم العزل أو رفض بعضهم، ثم تكرار معارك الجمل وصفين على نحو واسع.

ولم يكن إلا تحديد الأموي الذي يتولى الخلافة بعد معاوية وكان في بني أمية من يفضل يزيد كعبد الملك بن مروان مثلاً.

ورغم المشاكل الداخلية في عهد يزيد فقد استأنف العرب حركة التحرير والفتح ففي سنة ٦١هـ/٦٨٠م غزا سلم بن زياد والي خرسان وسجستان فشتا- تقع في بلاد ما وراء النهر- وحاصر المدينة وطلب أهل المدينة الصلح على أن يفدوا أنفسهم فأجابهم إلى ذلك ثم غزا سلم سمرقند وخوارزم.

وفي شمال أفريقية أعاد يزيد القيادة لعقبة بن نافع وظل أبو المهاجر تابعاً له وقد استطاع القائدان العظيمان أن يسيرا في فتوحاتهما حتى وصلا إلى المحيط الأطلسي ويروى أن عقبة صعد إلى هناك وهتف: يا رب لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً في سبيلك، ولو كنت أعلم بعده أرضاً وناساً لخضته إليهم.

على أن هذه الفتوح لم تكن نهاية المطاف، فقد كره البربر عودة عقبة للقيادة، وكان كسيله يضغن على عقبة، وحدث أن عاد عقبة من إحدى غزواته إلى بلدة طنجة فصرف معظم جنده وأرسلهم إلى القيروان وسار مع ثلاثمائة

الحائط". أما حسن إبراهيم حسن فيقول: "إن التاريخ يحكم بإدانة الأمويين".

حركة عبد الله بن الزبير:

طلب يزيد من والي المدينة، الوليد بن عتبة أن يأخذ له البيـ ابن الزبير، وعندما طلب الوليد من عبد الله بن الزبير ذلك تماطل عبد الله وخرج ليلاً من المدينة وكان عليها عمرو بن سعيد بن العاص، وفي مكة سمى عبد الله ابن الزبير نفسه بـ(العائذ) ولما كان يزيد يريد حل القضية حلاً سلمياً فإنه تبادل الرسائل مع عبد الله بن الزبير ولم يتوصل الطرفان إلى حل وقد قرت عين ابن الزبير بخروج الحسين بن علي إلى العراق ومقتله هناك إذ تخلص من أكبر منافس له، واستغل ابن الزبير مقتل الحسين للتشنيع ببني أمية وللتعريض بيزيد وذم أهل الكوفة.

وازداد أنصار ابن الزبير، واتهم الأمويين عمرو بن سعيد بن العاص بالتساهل مع ابن الزبير وحرضوا يزيد ضد عمرو بن سعيد فعزله عن ولاية الحجاز (مكة والمدينة) وعين يزيد الوليد بن عقبة على مكة وظل عليها أثناء الشطر الأكبر من سنة ٦٢هـ ولم يجد الوليد بن الزبير إلا متحذراً ممتنعاً وعمل ابن الزبير بالمكر والخديعة مع الوليد بن عقبة.

فعزل يزيد الوليد وعين عثمان بن محمد بن أبي سفيان والياً على الحجاز وهو فتى لم يجرب الأمور ولم يحنكه السن ولم تضربه التجارب وقرر يزيد القضاء على ثورة ابن الزبير فأرسل مسلم بن عقبة إلى مكة حيث عبد الله بن الزبير لكنه مات في الطريق وتولى القيادة الحصين ابن النمير السكوني حسب أوامر يزيد، وكان أهل المدينة قد قدموا على عبد الله بن الزبير وقدم إليه نجدة ابن عامر الحنفي، أحد زعماء الخوارج في أناس من الخوارج يمنعون البيت.

وفي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م بدأ حصار الحصين لمكة، ولم يوفق المكيون في أول اشتباك وقع بينهم وبين أهل الشام، وفي الثالث من ربيع الأول قذف الشاميون البيت بالمنجنيق وفي الليل أخذ أحد أنصار ابن الزبير قبسا في رأس رمح ليرى الجيش الشامي المحاصر، فلاحت نار القبس أستار الكعبة فحرقت الكعبة.

وبعد موت يزيد سنة ٦٤هـ/٦٨٣م كانت هناك بيعتان الأولى بالشام لمعاوية بن يزيد والثانية بالحجاز لعبد الله بن الزبير

فعزل يزيد الوليد وعين عثمان بن محمد بن أبي سفيان والياً وهو فتى لم يجرب الأمور ولم يحنكه السن ولم تضربه التجارب وقرر يزيد القضاء على ثورة ابن الزبير فأرسل مسلم بن عقبة إلى مكة حيث عبد الله بن الزبير لكنه مات في الطريق وتولى القيادة الحصين ابن النمير السكوني حسب أوامر يزيد، وكان أهل المدينة قد قدموا على عبد الله بن الزبير وقدم إليه نجدة ابن عامر الحنفي، أحد زعماء الخوارج في أناس من الخوارج يمنعون البيت.

وفي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م بدأ حصار الحصين لمكة، ولم يوفق المكيون في أول اشتباك وقع بينهم وبين أهل الشام، وفي الثالث من ربيع الأول قذف الشاميون البيت بالمنجنيق وفي الليل أخذ أحد أنصار ابن الزبير قبسا في رأس رمح ليرى الجيش الشامي المحاصر، فلاحت نار القبس أستار الكعبة فحرقت الكعبة.

وبعد موت يزيد سنة ٦٤هـ/٦٨٣م كانت هناك بيعتان الأولى بالشام لمعاوية بن يزيد والثانية بالحجاز لعبد الله بن الزبير، وبعد مدة قليلة وجد معاوية ابن يزيد نفسه أنه غير قادر على تدبير الأمور فتنحى عن الخلافة بعد حكم دام ثلاثة أشهر وطلب من المسلمين أن يختاروا من أحبوا وبوفاة معاوية بن يزيد حكم فرع أبي سفيان.

وعندما وصلت أخبار موت يزيد إلى الحصين بن نمير خاطب الحصين عبد الله بن الزبير قائلا:"إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنبايعك أخرج معي إلى الشام فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس" ولكن عبد الله بن الزبير رفض ذلك واقتنع ابن الزبير باستيلائه على جزيرة العرب ومصر لكنه أحجم

عن الزحف إلى الشام وبينما كان ابن الزبير عائداً بمكة فك الحصين حصاره عنها ورجع إلى الشام.

وفي البصرة نجح عبيد الله بن زايد في أخذ البيعة لنفسه من أهل البصرة حتى يصطلح سولاً لأهل الكوفة يدعوهم إلى نصبوا واليهم ثم

خالفه أهل البصرة أيضا فهاجت فتنة بالبصرة فهرب عبيد الله بن زياد إلى الشام.

انتقال الخلافة إلى البيت المرواني:

وصـــل الحصين إلى دمشق وكان عليها الضحاك بن قيس الفهري وهو يضـــمر الحياد في الصراع، وأخبر مروان بن الحكم بما خلف عليه ابن الزبير وأنـــه دعاه إلى البيعة فأبى وكان من رأي مروان وهو كبير أسرة الأمويين أن يرحل وينطلق إلى ابن الزبير فيبايعه، ثم قدم إليه عبيد الله بن زياد وكان قد بلغه مـــا يريد مروان فقال عبد الله لمروان: "استحييت لك مما نريد أنت كبير قريش وسيدها تصنع ما تصنع!" فقال: ما فات من شيء بعد فقدم دمشق وممن معه وبذا يكـــون عبيد الله بن زياد قد حرض مروان على الدعوة لنفسه بالخلافة ويضيف الطبري:" وكان مروان بالشام لا يحدث نفسه بهذا الأمر _الخلافة_ حتى أطمعه فـــيه عبـــيد الله بـــن زياد حين قدم عليه من العراق فقال لـــه: أنت كبير قريش ورئيسها يلي عليك الضحاك بن قيس!".

وكـــان أمير حمص النعمان بن بشير، وأمير قنسرين، زفر بن الحارث الكلابـــي هواهـــم فـــي ابن الزبير وكان أمير فلسطين حسان بن مالك بن مجدل الكلبي هواه في بني أمية كتب حسان بن مالك بن مجدل الكلبي إلى الضحاك بن قـــيس كتاباً يثني فيه على بني أمية وبين فيه حقهم في تولي أمور المسلمين ويذم عـــبد الله بـــن الزبـــير وأمر أن يقرأه على الناس ثم كتب نسخة ثانية من نفس

الكـــتاب، وسلمه إلى رجل من كلب (ناغضة) وقال لـــه: إن قرأ الضحاك كتابي علـــى الناس وإلا فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس" فلما ورد كتابه على الضحاك لم يقرأه على الناس فقام ناغضة وقرأ عليهم الكتاب فقال الوليد بن عتبة بن أبي ســـفيان صـــدق حسان وقام غيره فقالوا مثل ما قاله فأمر بهم حسان فحبسوا ثم أخرجـــتهم عشائرهم بالقوة وكان أهل دمشق فريقين، قيس تدعو إلى ابن الزبير وكلب تدعو إلى بني أمية.

توجـــه الضـــحاك بأنصاره، إضافة إلى إمدادات أهل حمص وقنسرين وفلسطين نحو مرج راهط بدمشق واجتمع نبو أمية تحت قيادة حسان بن مالك بن بحـــدل بالجابية وبايعوا مروان بن حكم خليفة للمسلمين وكذلك في ثلاثة من ذي القعدة سنة ٦٤هـــ/٦٨٣م على أن تكون الخلافة من بعده لخالد بن يزيد ثم لعمرو ابـــن ســـعيد بـــن العـــاص بن الأشقر ثم سار مروان مع اتباعه -كلب، غسان، السكاسك، السكون، ال

توجه الضحاك بانصاره، إضافه إلى إمدادات أهل حمص وقنسرين وفلسطين نحو مرج راهط بدمشق واجتمع نبو أمية تحت قيادة حسان بن مالك بن بحدل بالجابية وبايعوا مروان بن حكم خليفة للمسلمين وكذلك في 41 of 288 القعدة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م على أن تكون الخلافة من بعده لخالد بن يزيد ثم لعمرو ابن سعيد بن العاص بن الأشقر ثم سار مروان مع اتباعه -كلب، غسان، السكاسك، السكون، إلى مرج راهط وكانت بينهما وبين أنصار ابن الزبير بقيادة الضحاك بن قيس حرب عنيفة قتل فيها الضحاك بن قيس وذلك في المحرم سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ولما وصل خبر هزيمة أنصار ابن الزبير إلى النعمان بن بشير هرب من حمص فتبعه جماعة من أهلها فقتلوه وكذلك هرب زفر بن الحارث من قنسرين إلى قرقيسيا وتحصن بها، واجتمعت إليه قيس فرأسوه عليهم.

ولما تم الأمر لمروان بالشام سار إلى مصر فافتتحها وحصل على مبايعة أهلها ثم مات مروان في رمضان سنة ٦٥هـ/٦٨٤م وكان قد عهد بالخلافة من بعده لابنيه عبد الملك ثم عبد العزيز.

لقد أهاجت معركة مرج راهط الأحقاد التي كانت كامنة في صدور القيسيين واليمانيين لسنين طويلة وشرع اليمانيون بعد رجحان كفتهم يعاملون

منافسيهم القيسيين معاملة سيئة واستمر الحال على هذا المنوال طيلة عصر عبد الملك بن مروان.

ويبدو أن الضحاك بن قيس أراد أن يصل هو إلى الخلافة فقط ذكر الطبري أن الضحاك بن قيس كان قد دعا قيسا وغيرها إلى البيعة لنفسه فبايعوه يومئذ على الخلافة ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بمركزه فوق الأحزاب وبعد تردد طويل انضم أخيراً إلى جانب قيس وابن الزبير.

وبعد معركة مرج راهط خضعت حمص وفلسطين لمروان بن الحكم وكذلك قنسرين، وتكتلت قيس على ضفاف الفرات تحت قيادة زفر بن الحارث في قرقيسيا وظلت مكة والمدينة والجزيرة العربية والكوفة والبصرة ومن بالقبلة من العرب تحت حكم عبد الله بن الزبير واستمر ابن الزبير رافعاً راية الثورة ضد الخلافة الأموية إلى أن تمكنت هذه الخلافة من إخماد ثورته في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وسنبحث ذلك بالتفصيل لاحقا.

حركة سليمان بن صرد الخزاعي :

شعر الكوفيون بتأنيب الضمير لخذلانهم الحسين بن علي وتركهم إياه